يعض ياسيدتي قالت ولكنه يبدي لي اسنانه قال ولو كان لك اسنان مثله لكنت تبدينها على الدوام

*
* *

خرجت خادمة من بيت مخدومها وهي مكتئبة فقالت لها سيدتها اذا كنت تحزنين فلماذا تفارقيننا فاجابتها انني لا احزن لذلك ياسيدتي ولكنني متأسفة لحال التي ستأتي بعدي

*
* *

قال رجل لآخر انك حين بعتني هذا الكلب قلت لي انه يكون عظيماً لدى الفئران وانني اراه منذ اشتريته لم يقتل فارة واحدة فاجابه الرجل على الفور ومن كانت حاله كذلك افلا يكون عظيماً لدى الفئران

*
* *

قالت فتاة لخطيبها اصحيح ما يقال من ان وجه الحسناء كثيراً ما يكون سبب سعادتها قال نعم صحيح ولكن شفاه لرجل كم تكون ايضاً سبباً لسعادته

*
* *

قالت فتاة لخطيبها اتحبني كثيراً قال دون ريب قالت وهل تحبني حتى الموت قال لا ياسيدتي فان محبتي لا تموت

*
* *

قال رجل لاحد جباة الغاز هل هذا العداد مقياس ضابط لمقدار الغاز الذي انفقناه فضحك الجابي وقال لا ياسيدي ولكنه مقياس ضابط للمال الذي تدفعونه

*

مجلس الانس

﴿ الجزء الثاني عشر — السنة الرابعة ﴾

﴿ الاسكندرية في ٣١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠١ ﴾

﴿ الموافق ٢٠ رمضان سنة ١٣١٩ ﴾

الكرم

هو رأس الفضائل وعنوان المحامد وغرة المناقب وانه لمن اشرف ما يتحلى به المرء من حلى المحاسن واجمل ما يتسم به الانسان من سمات النبل وهو المشهور بانه الستار للعيوب الغافر للذنوب الدافع بمفرده لجملة الاساءات والماحي بوحدته لكل ما يسطر للانسان من المخازي والمقابح فاذا كان المرء سكيراً او مقامراً او خليعاً شاطراً ثم كان كريماً فقد كفاه كرمه ليرد عنه كل نقيصة ويستر عنه كل رذيلة . وحسبك دليلاً على فضل الكرم انه جملة الثناء ومفتتح كل تنويه بالفضل وذكر بالحسنى ولولا ان يكون الكرم في هذه المنزلة من النفوس وما لها به من جليل الشعور والتأثر لما ارتدت للدنيا اذية ولا دفع للاقدار مكروه ولا نظمت من شاعر قصيدة ولا فتح فم لثناء او دعاء

على ان تحديد الكرم او تفسيره انما هو من قبيل تفسير الماء لانه ملء الاذهان والافواه والمسامع على الدوام حتى ندر ان يذكر شيء من الفضل الا ويكون الكرم في جملة ما يمدح ونقيضه وهو البخل من اول ما يذكره المادح ويعيبه ولذلك نرى كثيرين من عظماء الناس الذين استولوا على اعنة الفضائل الادبية بين عقلية ونفسية ثم كانوا بخلاء قد ذكرت لهم نقيصة البخل في تواريخهم كما ذكرت للمتنبي والكندي واشباههما كثيرين بحيث كادت وحدها ان تشين كل فضائلهم وتشوه جميع محاسنهم مع ان تلك المحاسن لا تزال باقية ينتفع بها الناس الى الابد وهي في الحقيقة كرم دائم وتلك النقيصة قد زالت ولم يبق من اذاها الا ذكراها وهي لا تضر احداً بالاطلاق

ولكن الذي يحسن ان يبين به الكرم انه على كونه قائماً في وجوه النقائص جميعها فان جميع قوى النفس وحالاتها قائمة به ومتكفلة باحتماله وليست تلك القوى لدى الحقيقة الا المال ذاته لان الكرم المحض لا يكون الا منه . ومعلوم ان المال انما هو عرض الانسان وكرامته وقوته بل هو شبابه حين مشيبه وعزاؤه ساعة مصيبته وصحته اوان مرضه ورفيقه ايام اغترابه وعشيره زمان انفراده فاذا بذل الانسان من ماله فهو انما يبذل من نفسه وينفق من كرامته وجاهه وينقص من مبلغ قوته واقتداره وكل هذا انما يصيب به نفسه من اجل مسرة سواه واعانة غيره . وليست هذه السجية بالخفيفة المحمل على كل انسان ولا هي مما رزقه الله لكثيرين من عباده بل انها قد اختص بها الله بعض من يريد بليتهم في دنياهم لينفعهم في اخراهم وليكون ذكرهم بين الناس كانه وصية من جملة وصاياه بالمعروف واوامره بالاحسان

ولقد اختصت بلادنا الشرقية بالكرم وذكر المكارم حتى انه لولا الكرم خاصة لما نظم شاعر عندنا قصيدة ولا ظهرت لقائل اجادة ولا بدا من منشيء احسان ولكن الشعراء والكتاب الذين كانوا يصفون المكارم وينعتون الكرام كانوا يصفون ذلك حق وصفه فيقولون فلان عصمة الارامل وملجأ اليتامى وعون الفقير ونجدة المستغيث وانه لاخو الازمات الشديدة ودافع السنوات المجدبة الى مثل ذلك من الاوصاف التي تنطبق كل الانطباق على معنى الكرم الحقيقي من حيث هو احسان لمحتاجه اسعاف لطالبه واما في ايامنا هذه فقد تبدلت تلك الاوصاف تبديلاً كثيراً فصاروا يصفون الانسان بالكريم من حيث انه ينفق ماله فقط دون ان يهمهم اين ذهب هذا المال وفي اية طريقة انفق وعلى اي قصد ارسل فهم اذا رأوا مقامراً يخسر امواله قالوا انه كريم لانه لا يبالي بالمال ولا يأسى لفراقه واذا رأوا سكيراً تلوذ به ندمانه او متأنقاً تكثر حواشيه واعوانه ذكروا عنه انه محسن جواد وانه لا قيمة للمال عنده بل كل قصده من درهمه ان يراه مبذولا من كفه خارجاً من يده

اما الذين يبنون دعواهم على هذا الاعتبار فليس لهم من حجة فيه الا ان المال حين ينفق ويجول بين ايدي الناس يكون بمثابة اسعاف لهم وتسبيب لارزاقهم ومتى حصلت المنفعة فقد تم معنى الكرم ولكن الحقيقة ان ما يذكرونه لا يعد كرماً صادقا وان تسبب عنه النفع الذي يشيرون اليه وذلك لان المال كما قلنا انما هو قوة الانسان وجاهه فاذا أنفق الباذل امواله بين السكر والقمار والخلاعة والمجون وسائر اسباب الترف والنعيم فهو انما ينفق في حياته ما يسبب اتلاف حياته دون ان يكون قد صدر منه الاسعاف

المطلوب للناس لان ذاك النفع الذي اصابهم منه انما اصابهم على حالة مضطربة اذ قد يكون ناله منهم من لا يحتاجه او من ينفقه على هذه الطريقة ويحرم منه من يكون محتاجاً اليه لينفقه على طريقة المعروف وحقيقة الاحسان فاذا كان الانسان ينفق حقيقة حياته في مثل الخلاعة واللهو نافعاً بها غيره عن غير قصد نفعاً غير نازل في مكانه فان الكرم هنا يكون منقصة ويكون البخل محمدة لان تلك الاموال التي يذخرها البخيل ولا ينفقها هذا الانفاق لا يجب ان تعتبر معه في حد المعدومة بل هي موجودة كل الوجود ومصونة كل الصون ولا بد ان ينالها الناس بعد موته على طرق شتى من ارث او نهب او سواه وينتفعون بها مثل هذا النفع على غير هذه الصورة. وعلى هذه الحالة يكون البخيل افضل من الكريم لانه اولاً صان حياته وهي اول ما يكلف الانسان بصونها وصان ماله وهو قوته واقتداره ثم وزعت بعد ذلك كل امواله على الناس وقد ينالها منهم الوريث المحتاج. ثم يكون الكريم بخيلاً لانه عرض صحته للسقم وحياته للفناء وجاهه للابتذال ولان ماله قد ذهب حقيقة في غير سبل المعروف الحقيقي في حين يكون مال البخيل قد ترك لما يفيد وينفع

ولقد تعرضت مجلتنا لذكر المكارم الحقيقية والتنويه باصحابها فذكرت مكارم سعادة احمد باشا منشاوي وماثره المشهورة واشارت الى احسان سعادة حسن باشا واصف وعطاياه الباهرة واوقافه الدائمة مع حرمه المصون وسعادة احمد بك زعزوع ومدرسته المشهورة وهي انما ذكرت هؤلاء بالخصوص لان مكارمهم صادقة مستفاد منها كل معني الكرم والاحسان للمحتاج . واما الذين ينفقون اموالهم الطائلة بمقادير تزيد جداً على ما انفقه

هؤلاء المحسنون في احسانهم ويكون انفاقها في سبيل ذلك الزعم وهو تناول الناس لها على اية صورة وكيفية فانهم لا تذكرهم صحيفة قط مهما بذلوا وافادوا على زعمهم ولا يعلق ذكرهم بخاطرمهما امتدت شهرتهم وكثر الحديث بهم بل انهم اذا تعرضت جريدة لذكرهم فانما تذكرهم في معرض اللوم والتقريع وكثيراً ما رأينا ذلك حتى وددنا لو كان كرم هؤلاء بخلاً وغناهم فقراً

ولقد قلنا ان الناس عندنا قد اعتادوا ان يعتبروا البذل الذي ذكرناه كرماً ويعتبروا التصدق على متسول في الطريق جوداً ولكنا نسر الان كثيراً بان ذلك الاعتبار قد اخذ يهم بالزوال من النفوس وصار جماعة من اغنيائنا يعرفون ما هو الكرم الحقيقي النافع فصرنا نسمع ان فلاناً وهب الف جنيه لانشاء مدرسة واخر تبرع بمئة للمساعدة على انشاء مستشفى

ولقد كانت مدرسة محمد علي الصناعية التي تباشرها جمعية العروة الوثقى سبباً كبيراً لغرس هذا المبدأ في النفوس فاصبحنا نسمع بمئات الجنيهات تبذل من اكف قوم كانوا يظنون ان بذل الدرهم للمتسول من اجل المكارم وان الانفاق في سبل اللهو لينتفع الناس من اولى الفضائل وهي حالة نستبشر بها كثيراً لانها مقدمة واضحة لبلوغ غاية الكرم الحقيقي واكتساب الاجر الصادق من لدن الله